# منهجية جعفر رضي الله عنه
# في إقناع النجاشي بقَبُول المسلمين ثم الإسلام

د. عبد الوهاب العمري

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية – قسنطينة –الجزائر

---

يعرف بعض الباحثين الحوار بأنه محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدا عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر.

ما هي دواعي وأسباب الحوار؟، لماذا الحبشة؟، ولماذا جعفر رضي الله عنه بالذات؟، ما هي أساليب هذا الحوار وما أهدافه ونتائجه؟ هذه الأسئلة وغيرها هي محور هذا الدراسة.

Certains chercheurs définissent le dialogue comme étant une conversation entre deux personnes ou deux groupes autour d'un sujet bien précis où chacun a son opinion et qui a pour but d'aboutir à une vérité ou à une certaine convergence d'idées, loin de toute subjectivité ou confrontation et ce par la voie de la science et la logique. Où , aussi, tout un chacun est prédisposé à accepter l'avis de l'autre sans le dénigrer.

Cette étude traduit la méthodologie usitée par Djaafar afin d'obtenir crédit auprès de Négus.

**المقدمة:**

يعرف بعض الباحثين الحوار بأنه محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيدا عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يدّ الطرف الآخر.[1]

وحتى نبرهن على صحة هذا التعريف عملياً، ونبيّن أن الأفكار والحقائق هي الأخرى عابرة للأوطان والقارات ولا تُسجَن في مكان، وأن الحوار الجاد لا يفضي إلاّ إلى الوِصَال والتقارب بين الأفراد والشعوب، فيثمر القابلية للتغيّر الإيجابي مظهرا ومخبرا، بدءً بقبول الآخر والتعايش معه كما هو، وانتهاءً بتَشَرُب أفكاره وتصوراته للكون والحياة، لدرجة التخلي عن الموروث الاجتماعي والقناعات الذاتية الكبرى والحكم عليها بأنها قناعات خاطئة، حتى ولو كانت دينية عقدية، وذاك أصعب ما يغيره الإنسان.

لأجل بيان هذه الحقيقة نعود إلى السيرة العطرة، لننهل منها فنّ التعامل والحوار والتواصل مع الآخر، من خلال تجربة حوارية حيّة تُعَدُ من الأشكال الأولى للحوار بين الأديان والحضارات، وتحديدا بين النصرانية والإسلام، طَرَفَاها: مقهور فارٌّ بدينه الجديد وهو جعفر بن أبي طالب ﷺ، والآخر مَلِكٌ نصرانيّ وهو "النجاشي"(Négus) ملك الحبشة، إلا أنه لا يُظلم عنده أحد.

ما هي دواعي وأسباب هذا الحوار؟، لماذا الحبشة ولماذا النجاشي بالذات؟، ولماذا جعفرﷺ دون غيره من كبار الصحابة رضي الله عنهم ؟، ما هي

---

[1]- بسام داود عجك:الحوار الإسلامي المسيحي، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1998، ص20. أنظر أيضا:

-Le Petit Larousse compact,1998, édition Larousse, p 331

أساليب هذا الحوار وما أهدافه ونتائجه؟ الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها هي محور هذه الدراسة.

## دواعي الهجرة إلى الحبشة

حينما يغيب العقل ويسود التعصب تزداد شراهة آلة القمع والاضطهاد، وكلما غاب الحوار حلّ العنف والاستبداد، لذا قيل « من سنن الله في خلقه أنه عندما تغرب الفكرة يبزغ الصنم»[1]، فإذا غربت فكرة الحوار بزغ صنم العنف والإرهاب.

فبعد الجهر بالدعوة الإسلامية والخروج بها من السرّ للعَلَنّ، كانت ردّةُ فِعل قريش الرافضة للرسالة الجديدة قويّة وشرسة، فضيّقت الخناق على المؤمنين وخاصة الضعفاء منهم بالمطاردة والتعذيب والاغتيال والإرهاب، قال محمد بن إسحاق: فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله عز وجل، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء. قال لهم:" لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي "أرض صدق"، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه."[2]. وفي رواية قال الزهري في حديثه عن عروة في هجرة الحبشة:" فلما كثر المسلمون، وظهر الإيمان فُتحدث به, ثار المشركون من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم يعذبونهم و يسجنونهم وأرادوا فتنتَهم عن دينهم فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال للذين آمنوا به: "تفرقوا في الأرض"، قالوا: فأين نذهب يا

---

[1] – مالك بن نبي:شروط النهضة، ترجمة عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ص 28.

[2] – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية ، حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الاولى 1408 هـ – 1988 م ،ج3، ص 84–85. وانظر سيرة ابن هشام ج1، ص 344

رسول الله؟، قال: «هاهنا»، وأشار إلى أرض الحبشة."[1] فحماية لعقيدة التوحيد من جهة وتأمين الحماية لأصحابه من جهة أخرى ،أشار ﷺ – من غير أمر– على أصحابه بالخروج إلى الحبشة. [2]

**ولكن لماذا الحبشة؟ و لماذا النجاشي بالذات؟**

لم يكن النبي ﷺ يعيش في برج عاجيّ أو في جزيرة بعيدا عن واقعه، فقد كان ﷺ على دراية ومعرفة دقيقة بمحيطه "الجيوسياسي" (Géopolitique) الخاص بمنطقة شبه الجزيرة العربية آنذاك، فقد "كانت أرض الحبشة متجرًا لقريش، يتجرون فيها، يجدون فيها رفاغا من الرزق وأمنًا،ومتجرًا حسنًا."[3]

ومن جهة أخرى يشير بعض الباحثين أن الرسول ﷺ كان يعرف أخبار الحبشة من خلال حاضنته "أم أيمن" رضي الله عنها، والتي ثبت في صحيح مسلم وغيره أنها كانت حبشية[4].

هذا من جهة اختيار المكان، أما من جهة اختيار الشخص، فلم يكن اختيار النجاشي عشوائيا أيضا، وهذا أمر يعود إلى حنكته ﷺ السياسية، فقد كان النجاشي يمتاز بخصلتين عظيمتين هما:

---

[1] – محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري: المغازي النبوية، تحقيق سهيل زكار،دار الفكر دمشق–1401هـ –1981 م، ص 96

[2]– محمد بن جرير الطبري :تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، بيت الأفكار الدولية، عمان– ص 319، وروى هذا الحديث البخاري في صحيحه تحت رقم:4230، ومسلم تحت رقم 2502، وأحمد في مسنده(201/1)،(290/5–292)، و الطبراني في الكبير رقم:1479، وانظر أيضا البوطي محمد سعيد رمضان: فقه السيرة، دار الشهاب للطباعة والنشر، عمار قرفي، باتنة، دس، ص124.

[3]– محمد بن جرير الطبري :تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)،المرجع السابق، ص 319

[4] – علي محمد الصلابي:السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث،دار المعرفة، بيروت– لبنان،الطبعة السابعة –2008، ص 192

الأولى: أنه كان رجلا كريم الأخلاق رفيع المستوى، يتعاطف مع كل مظلوم ومقهور مهما كان جنسه أو دينه، فهو بالمفهوم المعاصر: كان يحترم الحريات الفردية والجماعية، ويحترم حقوق الإنسان كما ورد في الحديث السالف الذكر"لا يظلم عنده أحد".

الثانية: أنه كان نصرانيا "نسطوريا"(Nestorien) أي يؤمن أن عيسى ﷺ إنسان وليس ابن الله، فالعذراء عنده لا يمكن أن تلد الإله، فالمخلوق لا يلد الخالق! وما يولد من الجسد ليس سوى جسد ،جاء في قاموس المصطلحات الكنسية في شرح كلمة "نسطوري":أي هو مَنْ اعتنق هرطقة نسطور أسقف القسطنطينية (من سنة 428 م حتى حرمه مجمع أفسس المسكوني المقدس سنة 431 م مات عام 451 م)، الذي نادى بأن المسيح يحمل شخصيتين، أو هو أقنومان وله إرادتان منفصلتان:فهو الإله الابن والإنسان يسوع،ونال اللاهوت في المعمودية، فالمولود ليس ابن الله، بل مجرد إنسان، وإن اللاهوت فارق الناسوت عند الصلب[1].

[1]- في بداية القرن الخامس وبينما كانت الإسكندرية والقسطنطينية تتنازعان على احتلال المراكز الأولى في الكنيسة والإمبراطورية، أعلن "نسطوريوس"، أسقف القسطنطينية رفضه لتكريم مريم كوالدة الإله، وسماها فقط أم المسيح. لقد علّم نسطوريوس أن المسيح ولد من مريم (إنسانا فقط) وبعد الولادة اتحد كلمة الله الأزلي في الإنسان المولود من مريم لذلك يجب رفض لقب والدة الإله الذي يعني التي ولدت الله.عارض أسقف الإسكندرية "القديس كيرلس" تعليم نسطوريوس ورفضه، وقال بالتعليم الأرثوذكسي أنّ مريم هي والدة الإله لأن الذي ولد منها (بحسب الجسد) هو كلمة الله الإلهي بعينه . الابن الوحيد لله هو (الابن المولود من الآب قبل الدهور ) انحدر بعينه من السموات لأجل خلاص البشر وولد بالجسد ، وأصبح إنسانا ، من مريم العذراء . لذلك فأن ابن الله هو نفسه ابن مريم انظر تفاصيل الهرطقات حول طبيعة المسيح خاصة هرطقة نسطور عند البابا شنوده الثالث: طبيعة المسيح، القاهرة 1995،ط 5، ص 10. وكذا حمودي صبحي وكوربون جان: معجم الإيمان المسيحي، دارالمشرق،

كان ﷺ يعرف معتقد النجاشي، وأنه كان يؤمن أن عيسى ﷺ هو إنسان وليس إلهً ابن إله، ودليل ذلك ثناؤه ﷺ عليه بقوله: وهي "أرض صدق"[1] وفي رواية: "وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي، لا يظلم أحد بأرضه"، وكان يُنْثَي (يشاع) عليه مع ذلك صلاحه."[2]

**لماذا جعفر ﷺ ؟**

تذكر تراجم هذا الصحابي أنه كان رجلا عليم اللسان، ذكي الفؤاد، وسيم الخلقة، عارفا بأنساب العرب وأمثالهم وأشعارهم[3]، وسنثبت في هذه الدراسة، أنه كان عالما وعارفا بالنصرانية أيضا وكتبها معرفة دقيقة.

هذا وغيره جعل جعفر ﷺ مؤهلا للإشراف على الحوار مع النجاشي، علما أن عدد المسلمين الذين هاجروا معه قد بلغ بضعا وثمانون رجلا كما ترويه بعض كتب السيرة، وكان من بينهم كبار الصحابة: «عثمان بن عفان وزوجته، رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو حذيفة وزوجته، والزبير بن العوام، ومصعب بن عمير وعبد الرحمان بن عوف،...»[4] رضي الله عنهم.

والملفت للانتباه أن جعفر ﷺ أخذ بزمام المبادرة، فكان "الناطق الرسمي" للصحابة رضي الله عنهم، ولسان حالهم في الحوار مع النجاشي، دون تفويض

---

بيروت، ط1،1994، ص510. وانظر محمد رضا: محمد رسول الله ﷺ، مكتبة الشاملة، يوم2015/05/01 على الموقع: http://shamela.ws/browse.php/book-12935/page-437

[1] – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: البداية والنهاية ، حققه ودقق اصوله وعلق حواشيه : علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الاولى 1408 هـ – 1988 م ،ج3، ص 84–85. وانظر سيرة ابن هشام ج1، ص 344

[2]– محمد بن جرير الطبري :تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)،المرجع السابق، ص 319.

[3]– ابن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1417هـ–1997م، ج1 ص675

[4]– صحيح البخاري، ج 3، حديث رقم 1407، وأنظر البوطي محمد سعيد رمضان: فقه السيرة،المرجع السابق، ص124.

منهم ولا من النبي ﷺ، وهنا يظهر دور المحنك الذي يعرف قدر نفسه، ويعرف متى يتكلم؟ وكيف يتكلم؟ وبماذا يتكلم؟...فيربح المواقف والمواقع، فأمامه امتحان عسير، والوقت قصير، إما أن يكون صاحب حجة دامغة مقنعة فتنجح دعوته وقضيته العادلة فينجو هو ومن معه- ولذلك هاجر-، وإما أن يكون ضعيفا فاشلا، فيُفشل قضيته ويهلَك هو ومن معه.علما أن مهمة جعفر ﷺ الأولى كانت أن يقنع النجاشي ﷺ بقبول لجوء وجوار المستضعفين المظلومين من المسلمين الفارين إليه وحمايتهم من بطش قريش، وليس إقناع النجاشي بالإسلام !، ولكن الأمر انتهى كما سنرى بقبول المسلمين أولا ثم الإسلام.

كانت منهجية جعفر ﷺ وهو يرافع في قضيته العادلة أمام مَلِكٍ يراه لأول مرة، منهجية دقيقة وقوية، جمعت بين قوة حجتين:حجة لإقناع العقل والأخرى لإثارة عاطفة القلب، وهي من أقوى وأصعب طرق"صناعة الإقناع"، في مجال "ديناميكية انتشار الأفكار"، وآليتها هي الوصول بالفكرة إلى أعمق مدى لها في العقل والقلب معا، فتثمر قَبُول الطرف الآخر لها، بل واستجابته للدفاع عنها لتبنيه لها.

فبدأ جعفر ﷺ مرافعته وحديثه بقوله: «أيها الملك، كنا قوم جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم، ونهانا عن الفواحش...فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان...فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك»[1].

[1]- محمد بن جرير الطبري :تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، مرجع سابق ص 319،

بقراءة هذه الفقرة قراءة متأنية فاحصة نستنتج مقومات منهج جعفر ﷺ في الحوار وهو يقنع سامعه، إذ كان دقيقا في اختيار الألفاظ، دقيقا في ترتيبها حتى يكون لها وقعها الخاص على الآذان والنفوس،كان متقنا لفن صناعة الكلام والإقناع، وهذه من سمات القوة التي يجب أن يتصف بها المفاوض (Négociateur) المتصدّر لمحاورة مخالفه لبلوغ درجة إقناعه، وهذا الذي مكَّن جعفر ﷺ من إدارة الحوار وتوجيهه الوجهة السليمة التي يكون معها النجاح والنجاة. فكانت التقنية في الحوار كما يلي:

قال: "أيها الملك" (Mon Seigneur)، لقب يطلق عند الدخول على الملوك، فيه إكبار وأدب جمّ، بأسلوب راق كما يقتضيه المقام، ينزع ظلال جفاء البداوة عن قائله في نظر سامعه، ومن جهة أخرى فيه ابتعاد عن أسلوب التجريح أو الاستهانة بالآخر أو التطاول عليه، فكلٌّ له مقامه وقدره حتى وإن خالفنا في وجهة النظر وحتى المعتقد.وهذا ما يطلق عليه في وقتنا الحاضر "باللغة الدبلوماسية" ( Langage Diplomatique).

-حاول جعفر ﷺ جرّ النجاشي إلى دائرة الاتفاق بدل دائرة الاختلاف، وذلك باتباع تقنية جذب الانتباه للقيم والأخلاق العالية، لعزل الخصم وفضحه على الملأ، ووضعه في دائرة الإدانة والحرج، وذلك بتسليط الضوء على ممارساته "البدوية الفظة" غير الأخلاقية، وغير الإنسانية والتي تَنفُر وتَتقَزَز منها كل النفوس والعقول السويّة، وتُجمِع كل الأذواق السليمة على بشاعتها، والتي تطبع نفسية وعقلية قريش وقادتها آنذاك، (كنا قوم جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام،ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا

والبخاري رقم:4230، ومسلم رقم 2502، وأحمد في مسنده(ج 1/ ص201)،(ج5/ص290-292)، و الطبراني في الكبير رقم:1479، و أيضا البوطي محمد سعيد رمضان: فقه السيرة، مرجع سابق، ص125-126.

الضعيف)[1] وهي نفسية بعيدة عن الرحمة وبالتالي بعيدة عن الحوار لذا قال تعالى لنبيه ﷺ واصفا سبب اجتماع الصحابة رضي الله عنهم حوله:" فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ..." [ آل عمران:159].

من جهة أخرى حاول جعفر ﷺ إظهار الإسلام على حقيقته في أبهى حلله بتسليط الأضواء على المبادئ والأخلاق والقيّم الإسلامية السامية والنبيلة، والتي تنسجم معها كل النفوس الخيّرة، وتناضل من أجل تحقيقها كل الطبائع السويّة، فعبّر عن معاني حضارية كبيرة بكلمات معدودات وجيزة، تجمع بين صدق العاطفة وقوة المنطق فقال:"(...) حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم، ونهانا عن الفواحش..." أهذه جريمة ؟.

-تحطيم فكرة "الأبوية" القائمة على مصادرة العقل والمنطق السليم باتباع الخرافة وعبادة الحجارة الصماء. في وقت تبنى فيه الحضارة في الجوار في فارس والروم والحبشة (فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان).

-تأليب الرأي العام ضد قريش ومحاولة إثارة النجاشي ليتعاطف مع القضية الإسلامية العادلة، بإبراز الاستبداد الفكري، والسياسي الذي مارسته وتمارسه قريش بإرهابها للمستضعفين وتقتيلهم وتشريدهم في محاولة منها لطمس كل معارضة لا ترى رأيها، وتخالف نضرتها للكون والإنسان والحياة، فقال له ذلك بنبرة مفعمة بشعور المرارة و الاغتراب والقهر من ضيق الآخر بالفكرة والدين الجديد-رغم شساعة المكان-، وهذا ما يثير النجاشي الذي ألف مناصرة

[1] - المراجع السابقة.

الضعيف والمظلوم (فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان...).

-امتحان النجاشي ووضعه - على المحكّ- في موقف جدّ محرج، وذلك بتحميله مسؤولية القيام بالقسط، ونعته بأنه ملاذ المظلومين والمقهورين (...فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك)، وكأنه يقول له: «بين لنا صدق ما قيل عنك...هل جريمتنا أننا اتبعنا الفضيلة والقيم؟، أين انتصارك لها ؟، نحن لا نطلب منك أن تحابينا بل أن تقيم العدل فينا، وترفع الظلم عنا ولذلك ألغينا كل البدائل الممكنة واخترناك عمن سواك».

بهذه القوة في الطرح والإقناع رافع جعفر ﷺ في قضيته العادلة، فهكذا كلام يُعَد غريبا عن بيئة قريش، فلا يمكن أن يكون نتاج فكر عقيم أو تربية متعجرفة ضيقة كالتي يعرفها النجاشي عن قريش، لذا بادر بالسؤال عن المعلم وعن بعض ما جاء به فالصنعة تدل على الصانع، وقوة حجة التلميذ تدل على روعة وعظمة تلقين معلِّمه، فسأله النجاشي أن يتلو عليه شيئا مما جاء به الرسول ﷺ من عند الله؟

أمام جعفر ﷺ بدائل كثيرة على الأقل فيما نزل من القرآن الكريم آنئذٍ، فهل يقرأ عليه السفير المسلم ما ينسف بعقيدة النصارى في عيسى ﷺ والقائمة على التثليث كقوله تعالى: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (17) وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18) " (المائدة:17-18).

أو قوله تعالى: لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (74) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (75)" المائدة: **72–75**.

أو قوله تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا **(171)**." (النساء: **171**).

طبعا لا...لم يتطرق جعفر ﷺ إلى شيء من ذلك، بل فكر في الضربة القاضية، "فقرأ عليه صدرا من سورة مريم، فبكى النجاشي حتى أخضلت لحيته، ثم قال لهم: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، ثم التفت إلى رسولي قريش قائلاك انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون"[1].

انتصار المفاوض والسفير المسلم جعفر ﷺ في هذه المعركة المصيرية لم تعجب سفيرا قريش وهما: عمرو بن العاص – واحد من دهاة العرب قبل

[1] – محمد بن جرير الطبري :تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، مرجع سابق ص 319، والبخاري رقم:4230، ومسلم رقم 2502، وأحمد في مسنده(ج 1/ ص201)،(ج5/ص290–292)، و الطبراني في الكبير رقم:1479، و أيضا البوطي محمد سعيد رمضان: فقه السيرة، مرجع سابق، ص125–126 المراجع السابقة. وأنظر أيضا البيهقي (301/2)،(9/9)، وكذا جلال الدين السيوطي: الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985، ج1، ص29.

إسلامه –، وعمارة بن الوليد بن المغيرة وكان صديقا للنجاشي ، فقد جاءا بهدايا لاسترداد المسلمين من النجاشي حليف قريش، فحاولا بدهاء كبير نقل جعفرﷺ والنجاشي من دائرة الاتفاق إلى دائرة الاختلاف، وذلك بنفث سموم الاختلاف وإثارة أفكار الصدام، "فقالا للنجاشي: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيمان فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون. فأرسل إليهم في ذلك."[1]

حنكة جعفر ﷺ في إدارة الحوار وخبرته الدقيقة بالنصرانية وبكتبها المقدسة جعله يخرج من المأزق بطريقة سلسة، حوّلَت السؤال من محنة إلى منحة، إذ زاد الجواب من ترسيخ قناعة النجاشي بجعفر ﷺ وبدعوة نبيه ﷺ، فاتبع جعفر ﷺ الخطة التالية:

-انتقى جعفر ﷺ من الآيات ما يشابه في ظاهرها ألفاظ ومضامين بعض نصوص العهد الجديد، فقال جعفر بن أبي طالب ﷺ:"نقول فيه الذي جاءنا به محمد ﷺ يقول:هو عبد الله، وروحه وكلمته ألقاها على مريم العذراء البتول."[2] فالفرق الموجود في العهد الجديد والقرآن الكريم في هذه الجملة هو حقيقة أنه "عبد الله وليس ابنه" وهذا معتقد النجاشي النسطوري، فعدا هذه الكلمة كل الألفاظ واردة في العهد الجديد.

بجملة واحدة كسب جعفر ﷺ عقل وقلب النجاشي، فأعاد بذلك النقاش إلى دائرة الاتفاق وقضى على أجواء النفرة والصراع التي كانت تطبع دائرة

---

[1]- محمد بن جرير الطبري :تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، مرجع سابق ص 319، والبخاري رقم:4230، ومسلم رقم 2502، وأحمد في مسنده(ج 1/ ص201)،(ج5/ص290-292)، و الطبراني في الكبير رقم:1479، و أيضا البوطي محمد سعيد رمضان: فقه السيرة، مرجع سابق، ص125-126 المراجع السابقة. وأنظر أيضا: مجمع الزوائد، باب الهجرة إلى الحبشة، ج6، ص23.

[2] - المراجع السابقة

الاختلاف(التثليث) التي حاولا سفيرا قريش جرّ النقاش إليها، ويتضح ذلك من ردّة فعل النجاشي الذي "ضرب بيده إلى الأرض فأخذ منها عودا ثم قال: " والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود."[1] وفي رواية قال:" والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود، فقال عظماء الحبشة والله لئن سمعت هذا الحبشة لتخلعنك، فقال النجاشي والله لا أقول في عيسى غير هذا أبدا..."[2] وبذلك هُزم رسولا قريش بعد أن ردّ النجاشي هديتهما قائلا: «ارجعوا إلى هذا هديته -يريد عمرو بن العاص- والله لو رشوني في هذا دبر ذهب –والدبر في لسان الحبشة الجبل- ما قبلته»[3].

وهناك رواية أخرى عن جعفر ﷺ والنجاشي نوردها بتمامها توثيقا للأولى وبيان لمساحات أخرى غير واردة في النص السابق الذكر: أخرج البيهقي عن موسى عن عقبة قال:"خرج جعفر بن أبي طالب في رهط من المسلمين فرارا بدينهم أن يفتنوا عنه إلى أرض الحبشة، وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بن المغيرة وأمروهما أن يسرعا السير ففعلا، وأهدوا للنجاشي فرسا وجبة ديباج لعظماء الحبشة هدايا، فلما قدما على النجاشي قبل هداياهم وأجلس عمرو بن العاص على سريره، فقال عمرو بن العاص:" إن بأرضك رجالا منهم سفهاء ليسوا على دينكم ولا على ديننا، فادفعهم إلينا"، فقالت عظماء الحبشة للنجاشي:" أجل فادفعهم إليهم"، فقال النجاشي:" لا والله لا أدفعهم إليه حتى

---

[1] - المراجع السابقة

[2] - جلال الدين السيوطي، الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985، ج1، ص249.

[3] - المراجع السابقة، محمد بن جرير الطبري :تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، مرجع سابق ص 319، والبخاري رقم:4230، ومسلم رقم 2502، وأحمد في مسنده(ج 1/ ص201)،(ج5/ص290-292)، و الطبراني في الكبير رقم:1479، و أيضا البوطي محمد سعيد رمضان: فقه السيرة، مرجع سابق، ص125-126 المراجع السابقة. وأنظر أيضا: مجمع الزوائد، باب الهجرة إلى الحبشة، ج6، ص23

أكلمهم وأعلم على أي شيء هم"، فقال عمرو بن العاص:" هم أصحاب الرجل الذي خرج فينا، وسنخبرك بما تعرف من سفههم وخلافهم الحق، إنهم لا يشهدون أن عيسى ابن الله ولا يسجدون لك إذا دخلوا عليك كما يفعل من أتاك في سلطانك".فأرسل النجاشي إلى جعفر وأصحابه وقد اجلس النجاشي عمرو بن العاص على سريره، فلم يسجد له جعفر ولا أصحابه، وحيوه بالسلام، فقال عمرو وعمارة:" ألم نخبرك خبر القوم"، فقال النجاشي:" ألا تحدثوني أيها الرهط ما لكم لا تحيوني كما يحييني من أتاني من قومكم، وأخبروني ماذا تقولون في عيسى ابن مريم، وما دينكم أنصارى أنتم؟" قالوا: لا، قال: فيهود أنتم؟ ،قالوا: لا، قال: فعلى دين قومكم ؟، قالوا:لا، قال: فما دينكم؟، قالوا: الإسلام، قال: وما الإسلام؟، قالوا: نعبد الله وحده لا شريك له، ولا نشرك به شيئا، قال: من جاءكم بهذا؟، قالوا: جاءنا به رجل من أنفسنا، قد عرفنا وجهه ونسبه، قد بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا، فأمرنا بالبر للوالدين والصدق والوفاء وأداء الأمانة، ونهانا أن نعبد الأوثان، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا، فصدقناه وعرفنا كلام الله، وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا، وعادوا النبي الصادق وكذبوه وأرادوا قتله، وأرادونا على عبادة الأوثان، ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا، فقال النجاشي: والله إن خرج هذا الأمر إلا من المشكاة التي خرج منها أمر موسى ﷺ، قال جعفر: وأما التحيّة فإن رسولنا أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام، فأمرنا بذلك فحييناك بالذي يحي به بعضنا بعضا، وأما عيسى فهو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وابن العذراء البتول. فخفض النجاشي يده على الأرض وأخذ منها عودا وقال: والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود، فقال عظماء الحبشة والله لئن سمعت هذا الحبشة لتخلعنك، فقال النجاشي والله لا أقول في عيسى غير هذا أبدا، ثم قال: ارجعوا إلى هذا هديته (عمرو بن العاص)، والله لو رشوني في هذا دبر ذهب،- والدبر في لسان الحبشة الجبل- ما قبلته. وقال لجعفر

وأصحابه: امكثوا فأنتم سيوم - والسيوم الآمنون- وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق، وقال: من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عرم أي: فقد عصاني. وكان الله قد ألقى العداوة بين عمرو بن العاص وعمرة في مسيريهما قبل أن يقدما إلى النجاشي، ثم اصطلحا حين قدما على النجاشي ليدركا حاجتهما التي خرجا إليها من طلب المسلمين، فلما أخطأهما ذلك رجعا إلى شر ما كانا عليه من العداوة، فمكر عمرو بعمارة، فقال: يا عمارة إنك رجل جميل فاذهب إلى امرأة النجاشي فتحدث عنها إذا خرج زوجها، فإن ذلك عون لنا في حاجتنا. فراسلها عمارة حتى دخل عليها، فلما دخل عليها انطلق عمرو إلى النجاشي، فقال له: إن صاحبي صاحب نساء، وإنه يريد أهلك فاعلم علم ذلك، فبعث النجاشي فإذا بعمارة عند امرأته، فأمر فنفخ في إكليله، ثم القي في جزيرة من البحر فجن واستوحش مع الوحش، ورجع عمرو إلى مكة قد أهلك الله صاحبه وخيب مسيره ومنعه حاجته. وورد نحو ذلك من طرق موصولة عن ابن مسعود وأبي موسى وأم سلمة[1].

**نتائج هذا الحوار:**

بعد هذه النهاية السعيدة عاش المسلمون في أرض الحبشة بأمن وسلام حتى هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وكان من نتائج هذا الحوار الشيّق والمثمر أن مات النجاشي على الإسلام ورسول الله ﷺ عنه راضٍ، إذ صلى عليه صلاة الغائب كما تذكر الروايات روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: نعى لنا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة اليوم الذي مات فيه فقال: "استغفروا لأخيكم"[2].

---

[1] - جلال الدين السيوطي، الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985، ج1، ص249.

[2] - رواه البخاري (1-446) و رواه مسلم (2 - 657).

وروى جابر ﷺ: قال النبي ﷺ حين مات النجاشي: "مات اليوم رجل صالح فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة"[1].

وعن أنس بن مالك قال: لما مات النجاشي قال النبي ﷺ: "استغفروا لأخيكم" فقال بعض الناس: يأمرنا أن نستغفر له وقد مات بأرض الحبشة؟ فنزلت {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ}.[2]

ومن ثمرات هذا الحوار ونتائجه أيضا: أنه في غمرة الإيذاء الذي كان يلقاه النبي ﷺ وأصحابه من كفار قريش جراء تزمتهم وتعصبهم، وفد إلى النبي أول وفدّ من خارج مكة، من نصارى الحبشة جاءوا مع جعفر بن أبي طالب ﷺ يبحثون عن بصيص النور الذي عميت عنه بصائر أحلام قريش، «فلما جلسوا إلى رسول الله ﷺ واطلعوا على صفاته وأحواله وسمعوا ما تلي عليهم من القرآن آمنوا كلهم."[3] ، فلما علم بذلك أبو جهل أقبل عليهم – بطبعه البدوي الفظ – وأغلظ لهم القول منكرا عليهم سرعة استجابتهم لدعوة النبي ﷺ فكان ردهم ردا جميلا،- رد عارف لجاهل وخبير لمبتدئ - حتى أن الله خلده في أكثر من موضع من القرآن الكريم: فقال تعالى:" الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آَمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (54) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (55)." القصص: 52-55.

---

[1] - البخاري (3 - 1407) و (3 - 1408) ورواه مسلم (2 - 657).

[2] - رواه الطبراني في المعجم الأوسط (3 - 120) و (5 - 223) والنسائي في السنن الكبرى (6 - 319) وابن كثير في تفسيره (1 - 444) وابن إسحاق. السيرة النبوية (2 - 184) و أبو داود (3 - 16)

[3] - البوطي سعيد رمضان، المرجع السابق، ص130

وقال تعالى:" قُلْ آَمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (108) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (109)." اللإسراء 107 – 109

وقال تعالى:"لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (85) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (86). المائدة: 84–86.

قال سيد قطب في تفسيره:"قال سعيد بن جبير ﷺ:" نزلت في سبعين من القسيسين بعثهم النجاشي، فلما قدموا على النبي ﷺ قرأ عليهم: «يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ» حتى ختمها، فجعلوا يبكون وأسلموا ونزلت فيهم هذه الآية الأخرى: «الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ.. إلخ.. وروى محمد بن إسحاق في السيرة: «ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلا أو قريبا من ذلك من النصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه، وسألوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مساءلة النبي ﷺ عما أرادوا دعاهم إلى الله تعالى، وتلا عليهم القرآن. فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره. فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام، في نفر من قريش، فقالوا لهم: خيبكم الله من ركب! بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال؟ ما نعلم ركبا أحمق منكم! فقالوا لهم:

سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا".قال: ويقال: إن النفر النصارى من أهل نجران. فالله أعلم أي ذلك كان. قال: ويقال والله أعلم: إن فيهم نزلت هذه الآيات: «الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ.." إلخ .قال: وسألت الزهري عن هذه الآيات فيمن نزلت؟ قال: ما زلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن في النجاشي وأصحابه ﷺ والآيات اللاتي في سورة المائدة: «ذلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْباناً ... إلى قوله- فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدِينَ."[1].

**خاتمة:**

مهما يكن من خلاف في عدد هذا الوفد – فقيل: إثنا عشر: سبعة قساوسة وخمسة راهبين. وقيل: بالعكس. وقيل: خمسون. وقيل: بضع وستون. وقيل: سبعون رجلا، - المهم أن الحوار لم يكن عقيما ولا عديم الفائدة ويمكن أن نجني من كل ما سبق فوائد جمة منها:

- هدف جعفر الأول لم يكن إقناع النجاشي بالإسلام ولكن بالقضية العادلة للمسلمين، فقوة المستضعف تعدت من قبوله كمستضعف إلى قبول دينه فانتهى الأمر بإسلام النجاشي، لذا على المسلمين أن يقنعوا الآخرين بأنفسهم وقدراتهم وشخصياتهم وأخلاقهم وفعاليتهم وإضافاتهم للحضارة الإنسانية، حتى يسهل على الآخرين قبول دينهم ومعتقداتهم لأن الصورة النمطية اليوم عند الغرب أن وضع المسلمين لا يعكس حقيقة دينهم الإسلام.

-الدعوة إلى الله ليست أحزانا أبدية متوالية، فقد لا ينصفنا القريب أو الشقيق متحجر القبل والفكر وينصفنا صاحب العقل الرصين والقلب الرقيق، حتى وإن باعدت بيننا المسافات والحضارات (الحبشة) فالحقيقة لا تعرف الحدود والحواجز، أنى وجدها المؤمن فهو أحق بها.

---

[1]- سيد قطب:في ظلال القرآن،دار الشروق، بيروت ، الطبعة الثانية عشرة-1986 ، ج5،ص 2700، وانظر التفصيل نحوه عند ابن كثير.

-عظمة وقوة الحجة القرآنية خصوصا والإسلامية عموما، فالمسلم لا يخاف التواصل مع الآخر إذا ما توفرت حرية التعبير عن الذات والحوار الهادئ بعيدا عن أجواء القمع والاستبداد والإرهاب الفكري الذي هو طبع كل بداوة فكرية.

-صاحب الحق تشد إليه الرحال حتى ولو كان مستضعفا فكلامه يخترق العقول والقلوب والآذان دون استئذان.

-الإنسان بطبيعته كائن ينتابه الضعف عندما لا يقدر على تجاوز المحن والصعاب، وشعوره بالخوف هو الذي يحرك فيه كوامن الحذر والاحتياط، وقد يتحول هذا الأمر إلى حالة مرضية عندما يفقد ثقته بنفسه، ويتحول خوفه إلى شعور بالضعف الدائم والهزيمة من الآخر، لذلك يتراجع إلى داخله متحصنا بأسوار حديدية أمام هجوم الآخر كما يتوهم، وحينئذ فهو ينكر كل شيء يرتبط بالآخر سواء كان صحيحا أو خاطئا، محقا كان أو باطلا، مفيدا أم غير مفيد، فيصبح عدوا دائما له ومحورا للشر، ويمكن رؤية هذا الأمر في أبي جهل خاصة بعد استجابة وفد الحبشة.

-كما أن المجتمعات والأمم التي ركبها الوهن الفكري والعجز الثقافي هي الأخرى تحارب الآخر لأنه يشعرها دائما بضعفها، فتخاف أن تتواصل معه خوفا من يغزو أفكارها ويحصد أفرادها، كما حدث لقريش مع النبي طيلة مرحلة الصراع.

مجيء هذا الوفد وركوبهم البحر والمخاطر ليعلنوا الولاء للدعوة الجديدة فيه إعلان بلسان الحال "أن أعداء الدعوة الإسلامية- اليوم وغدا- لن يستطيعوا- مهما ضيقوا عليها ومهما عذبوا وآذوا أربابها ومهما قاطعوا وائتمروا بهم – أن يمنعوها من أن تؤتي ثمارها أكلها كل حين بإذن ربها[1].

[1]- البوطي، المرجع السابق، ص131. بتصرف.

بهذه الفوائد وغيرها كثير نختم هذا البحث الذي نأمل أن يكون قد أماط اللثام على كثير من القضايا المعاصرة التي سبقنا الأولون في وضع اللبنات التأصيلية الأولى لها، خاصة فيما يتعلق بمسالة الحوار مع الآخر مهما كان موقفه وشأنه، ونأمل أن يتجه الباحثون إلى الأصول والأشكال الأولى لحوار الإسلام مع الأديان، لاكتشافها حتى لا يفرض علينا أشكال وأساليب للحوار معدة خارج رحم أصولنا وقيمنا ومعتقداتنا الإسلامية الكاملة.